

٢٤ الصالح أمير حاج بن شعبان ٧٨٣-٧٨٤ خلع
وأمر حاج هذا هو آخر من ولي الملك من بني قلاون
وآخر دولة المماليك الأولى وهم المماليك البحرية ممالك الملك
الصالح نجم الدين أيوب

الدرس الرابعون

دولة الشراكسة

بعد خلع أمير حاج اتفق الأمراء والجند على تولية

(| - الظاهر برقوق بن أنص)

وأصله من ممالك الأتابكي يابغا وهو شركسي الجنس
وما زال يترقى حتى صار ملكا على مصر والشام وبلاد الحرمين
وهو الذي بنى تلك المدرسة الجميلة الصنع المسماة بجامع
برقوق في شارع النحاسين

وقد نالته في سلطنته خطوب من ثورة مماليكه حتى

أنه خلع مرة وأعيد أمير حاج فاختنى برقوق مدة ثم عاد الى
سلطنته بعد أن كابد الاهوال واستمر سلطانا حتى توفي سنة ٨٠١

٢ - الناصر فرج بن برقوق

تولى بعد أبيه بعهد منه وعمره نحو اثنتي عشرة سنة وفي
عهدة كانت وقائع بين المصريين وبين عسكر التتار واستولى
تيمورلنك على حلب وقتل كثيراً من أهلها وكذلك فعل بجماه
كل ذلك والناصر لاه بشبو بيته وبعد كل هذا جند جنده
وتوجه الى الشام وقبل أن ينتهي أمر مع التتار عاد الى مصر
حيث بلغه شيء قام به المماليك ضده فلما عاد دخل تيمورلنك
دمشق وفضل بها الافاعيل : قتل من أهلها كثيراً وأخذ أموالهم
وخرّب ديارهم حتى عادت بعد بهجتها كأنها صحراء ثم رحل
عنها بعد نحو ثلاثة أشهر ولم يفعل السلطان شيئاً لوقاية
هؤلاء المساكين

ولم يزل الناصر على حاله حتى خلع سنة ٨٠٨

(٣ - المنصور عبد العزيز بن برقوق)

ولى بعد أخيه وعمره عشر سنين ولكن لم يتم أمره فان
أخاه الناصر عاود الكرة فساعدته بعض المماليك حتى أعادوه
سلطانا فاستمر حتى أوحش الامراء مرة ثانية فخلعوه بعد
أن حاربوه سنة ٨١٥ ثم قتلوه بعد ذلك

واتفق رأيهم على أن يولوا الخليفة العباسى سلطانا وهو
المستعين بالله العباس بن محمد المتوكل فمرضوا عليه ذلك فقبل
ونودى به سلطانا فى ١٧ محرم سنة ٨١٥ ولكن ذلك لم يرق
طبعاً فى عين المماليك أن يتولى الملك فيهم عربى فخطر ببال
الاتابكى شيخ أن يخلعه وساعده جنده فخلعوه بعد ستة
أشهر من ملكه

(٤ - المؤيد شيخ)

بويج بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس سنة ٨١٥ وأصله
من مماليك الظاهر برقوق وهو الذى بنى ذلك الجامع العظيم

المعروف بجامع المؤيد بالقرب من باب زويلة وقد تناهى في
زخرفته ورخامه وسقوفه وأبوابه فلم يبن في القاهرة مثله ولا كنه
ظلم الناس في تحصيل رخامه فصار أعوانه يكبسون البيوت
والحدارات بسبب الرخام . ومن ظلمه أنه أخذ باب مدرسة
السلطان حسن وجعله لمسجده وأخذ العمودين اللذين في
محراب جامع قوصون ووزع أخشاب سقوفه ودهانها على
أعيان المباشرين

ومن محاسنه أنه أبطل مكس الفواكه قاطبة وتقس ذلك

على رخامة وجعلها يباب الجامع لما تم بناؤه

وكان المؤيد ملكا جليلا كفاً للسلطنة عارفاً بأحوال

المملكة وافر العقل مقداماً في الحرب وكان يقرب أرباب

الفنون فكانوا يتباهون في فنونهم لجودة فهمه وحسن معرفته

وكان يعرف فن الموسيقى وله أشياء كثيرة يغني بها المغنون في

عهد . ومما عد من مساويه أنه كان جمهوري الصوت سفيها

في كلامه

توفي سنة ٨٢٤ ودفن في جامع

(٥ المظفر احمد بن شيخ)

ولى بعد موت أبيه وله من العمر سنة واحدة وثمانية
أشهر فكان مرضعا ولكن الامراء اتفقوا على سلطنته وبإيعه
الخليفة مكرها وكان يدبر أمره الامير ططر ولم يطل هذا
الامر نحو سبعة أشهر فان ططر تطامع الى الملك ولم يجد معارضا
فخلع المظفر وملك هو

(٦ - الظاهر ططر)

ولى بعد خلع المظفر وأصله من ممالك الظاهر برقوق
ولم يطل ملكه فانه توفى بعد ثلاثة أشهر ودفن بجوار قبر
الامام الليث

(٧ - الصالح محمد بن ططر)

ولى بعد موت أبيه سنة ٨٤٢ وعمره ١١ سنة وكان يدبر
أمره الامير برسباي وقد تطلع للملك كالمادة فخلع الصالح
بعد ثلاثة أشهر

(٨ - الاشرف برسباي)

ولى بعد خلع الصالح محمد سنة ٨٢٥ وأصله من ممالك
الظاهر برقوق وكان برسباي ملكا جليلا مبجلا في موكبه وكان
منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقربهم و ضرب نقودا
كانت معتبرة أحسن النقود المصرية وله مدرسة أنشأها باسمه
في الصحراء ودفن بها وكان يعد في مصر من أحسن ملوك
الشراكسة . توفي سنة ٨٤١

(٩ - العزيز يوسف بن برسباي)

ولى بعد موت أبيه وعمره ١٤ سنة وكان مدبر أمره
الاتابكي جقمق وله الأمر والنهي والسلطان الاسم ولم يدم
هذا الحال الا ثلاثة أشهر حيث طمع جقمق في المملكة
وخلع يوسف

(١٠ - الظاهر جقمق)

ولى بعد خلع يوسف سنة ٨٤٢ وأصله من ممالك الظاهر

برقوق وكان ملكا عظيما جليلا دينا خيرا متواضعا يحب العلماء
وينقاد الى الشريعة ويقوم للعلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب
الايتام ويكتب لهم بما يقوم بتماشهم وكانت البلاد في أيامه
هادئة من الفتن وكان فصيح اللسان بالمرية متفقا . ومن
مساويه أنه كان اذا سمع السبايات والوشايات وهذا فساد
عظيم . توفي سنة ٨٥٧

(١١) - المنصور عثمان جقمق)

ولى بعد أبيه وسنه ١٩ سنة وفي أول ملكه احتاج الى مال
ينفقه على جنده ولم يكن بمخزينة أبيه سوى ثلاثين الف دينار
فشكا ذلك الى ناظر خاصته (ويسمى عندهم ناظر الخالص)
فاخرجه من الكرب بمظلمة وهي أنه ضرب دنانير ينقص
كل دينار عن الاشرقي فيراطين وسماها المناصرة وأراد أن
ينفق منها على الجند فهاجوا وتقرروا من السلطان وترتب على
ذلك أنهم خاموه بعد ٤٣ يوما

﴿ ١٢ ﴾ - الأشرف اينال ﴿

ولى بعد خلع عثمان وأصله من ممالك الظاهر برفوق
وكان ملكا هينا لينا قليل الأذى ولولا جور ممالكه وتعديهم
على العامة لكان خير ملوك الشراكسة وكان أميالا يقرأ ولا
يكتب فكانوا يخطون له على المراسيم حتى يمر عليها بالقلم
ومما عد من محاسنه فى سلطانه فى تلك الايام أنه لم يسفك
دما بغير حق . توفى سنة ٨٦٥ ودفن بتربته التى بالصحراء

﴿ ١٣ ﴾ - المؤيد احمد بن اينال ﴿

تولى بعد أبيه بهدمنه وكانت بينه وبين الامراء وحشة
فثاروا عليه وخلصوه بعد أربعة أشهر

﴿ ١٤ ﴾ - الظاهر خشقدم ﴿

ولاه الامراء بعد خلع أحمد وأصله رومي الجنس جلب
للمؤيد شيخ فكان مملوكه واليه ينسب وقد رضى عنه الممالك
واستقامت أمورهم حينما أعطاهم مرتباتهم وأقطاعهم تامة

وبعد أن استتب له الملك قبض على كثير من الامراء الذين
يخشى شرهم فتم له السلطان . وكان فصيح اللسان بالعربية وأيامه
كلها هادئة ولكن ممالিকে كانوا جاثرين على العامة وكان سريع
العزل للقضاة والمباشرين وبأخذ أموالهم توفي سنة ٨٧٢

(١٥ - الظاهر بلباي)

ولى بعد وفاة أبيه خشقدم وأصله شركسي الجنس جلب
للمؤيد شيخ فكان من ممالিকে وكان يدعى بلباي المجنون
ولم تظهر عليه قوة الملك لانه كان خشنا قليل المعرفة فخلعه
الامراء والممالك في السنة التي ولى فيها

(١٦ - الظاهر تمرينا)

ولى بعد خلع بلباي وأصله رومي الجنس اشتراه السلطان
جقمق ولم يطل زمنه فان الامراء ناروا به وخلعوه بعد ٥٨ يوما

❖ الدرس الحادي والاربعون ❖

* (١٧) الاشرف قايتباي *

ولى بعد خلع ترمبغا وأصله شركى اشتراه الاشرف
برسباى وهو من أطول المماليك مدة فانه بقى سلطانا ٢٩ سنة
من سنة ٨٧٢ الى سنة ٩٠١

وفى عهده ازدادت نفقات الجند لكثرة المتطاعمين
الى الاغارة على البلاد الشامية فقد خرج عليه من يدعى
بشاه سوار وكسر جنده مرات ولم تغلب عليه الجنود المصرية
الا بعد العناء والمصاعب

وكانت الدلة العثمانية قد شرعت توسع فى أيامه سلطانها
فكان يهاب شرها

والجنود التى يجندها تستدعى نفقات طائلة فكان يوزع
ذلك على الناس فيتكافون دفعها على الرغم منهم . ومما يؤثر
من العبر من جراء ذلك ان السلطان أمر مرة بعقد مجلس

شوراه وفيه الخليفة العباسي والقضاة الاربعة ومشايخ من العلماء
وسائر الامراء ولما تكامل جمعهم قام كاتب سر السلطان وعرض
على المجلس ما مفاده ان الجند في حاجة الى النفقة وان كثير من
الناس معهم زيادة في ارزاقهم ووظائفهم وان الاوقاف قد
كثرت على المساجد والجوامع وان قصد السلطان ان يبقى
لها ما يقوم بالشعائر فقط والباقي يحجز لنفقة الجند قال الخليفة
والقاضي الى اجابته لانهم عرفوا ان ذلك رأى السلطان وبيناهم
على ذلك إذ حضر شيخ الاسلام أمين الدين الانصرائي
الحنفي فاعلم بما كان فأنكره غاية الانكار وقال على الملا منهم
لا يحل للسلطان ان يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعي واذا
نفد جميع ما في بيت المال ينظر ما في أيدي الامراء والجند
فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بذلك ينظر في المهم ان
كان ضروريا للمنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة .
هذا هو دين الله ان سمعت آجرك الله على ذلك وان لم تسمع
فافعل ما شئت فانا نخشى من الله ان يسألنا يوم القيامة ويقول
لنا لم لا نهيتموه عن ذلك وأوضحتم له الحق ولكن السلطان

ان أراد أن يفعل شيئاً يخالف الشرع فلا يجتمعنا ثم قام فحار
السلطان عند سماعه هذا الجواب وانقض مجلسه على غير
طائل . وأمثال هذا الشيخ الذين يقولون ما يمتقدونه من
الحق قليلون في كل زمان . ومن الغريب ان حصلت هذه
الواقعة مرة أخرى فلم يغير الشيخ رأيه ولكن ذلك لم يمنع
السلطان الظالم مما يريد

وفي عهده سنة ١٨٨٠ ابتداء الانابكي أزيلت بانشاء الازبكية
نسبة اليه وكانت بقعة أرض خرابا ذات كيان في أرض سبخة
فمرها أزيلت وبني بها القاعات الجميلة والقصور المشيدة بعد
ان أصلح أرضها وحفر بها بركة وأجرى اليها الماء من الخليج
الناصرى وبني عليها رصيفا يحيط بها وكان يشتغل فيها بنفسه
ثم شرع الناس يبنون على هذه البركة القصور الفاخرة
والاماكن الجميلة وقد رغب الناس بعد ذلك في سكنها حتى
صارت تعد مدينة على انفرادها

وكان قايتباي بعد من أحسن ملوك المماليك ولكن
عنه العظيم أنه كان محبا لجمع المال ناظراً لما في أيدي الناس

ولولا ذلك لعد من خيار الملوك

وقيل أن ما صرفه على الجنود مدة ولايته ٧٠٦٥٠٠٠ دينار

غير الذي صرفه على الجنود عند رجوعهم

وكان له اشتغال بالعلم ويعرف أقدار الناس وينزلهم منازلهم

وله منشآت من الابنية تنيله الذكر الحسن منها عمارة

المسجد النبوي . وأنشأ قبة عظيمة على القبر الشريف وأنشأ

هناك مدرسة مطلة على الحرم كما أنشأ مدرسة بمكة وبيت

المقدس ودمشق وغزة ودمياط وثر الاسكندرية وأنشأ

بالا - كندرية برجاً عظيماً . كان المنار القديم وله الجامع العظيم

بالصحراء المسمى بجامع قايتباي وجوامع أخرى بالقاهرة

وجدد عمارة القبة بالامام الشافعي . ووجدد عمارة قناطر أبي المنجا

والقناطر التي بشبرامنت بالحيزة وأنشأ هناك رصيفا ووجدد

مقام السيد البدوي

توفي سنة ٩٠١ ودفن بتربيته في الصحراء

(١٨) الناصر محمد بن قايتهاي)

ولى بعد أبيه وعمره ١٤ سنة وكان يدبره أتا بكيه المدعو
قانسود وقد خطر بباله أن يخلع الناصر ويكون بدله فعرض
ذلك على القضاة وبعض الامراء فأجابوه الى طلبته فتمصب
للناصر بعض المماليك وحاربوا قانسود حتى هزموه ولم يتم
خلع الناصر ولكنه لم يسر في أمره سيرة الملوك بل كان طائشا
يشبه فكره فكر الاطفال ويلعب كما يلعبون وكان آخر أمره
أن سخط عليه بعض المماليك فقتلوه سنة ٩٠٤ وكانت كل أيامه
شرورا وفتنا تعطلت فيها مصالح البلاد ولم يكن في السبل أمن
لصغر عقل الساطان وطيشه

(١٩) - الظاهر قانسود)

ولى بعد قتل الناصر وأصله شركسى الجنس كان مملوكا
لقايتهاي اتفق الامراء على توليته وقد فرح الناس بها
لخلاصهم من سافة البغيض ولم يطل ملك الظاهر فانه خلع
سنة ٩٠٥

(٢٠) الاشرف جنبلاط)

ولي بعد خلع قانصوه واصله مملوك شركسى للاشرف قايتباى ولم تكن المسكر راضية بملكه الا انه قام بنصرته أمير منهم اسمه طومان باى فهد له السبيل الى ذلك ومع ذلك فهو الذى بنى عليه فى آخر أمره وخلفه ثم قاتله وقبض عليه وكانت مدة جنبلاط كلها مصادرات للناس فى أموالهم وكان غليظ القلب عسوفاً ظالماً وانتهى أمره سنة ٩٠٦

(٢١ - العادل طومان باى)

بعد القبض على جنبلاط ببيع بمصر العادل طومان باى وفرح الناس بولايته لعسف سلفه ولكن مدته لم تطل الا نحو ثلاثة أشهر حيث قام عليه المماليك فى آخرها فاقتفى

(٢٢ - الاشرف قانصوه النورى)

ولي بعد طومان باى سنة ٩٠٦ وهو باني القبة التى تنسب اليه وتجتمع فيها الجمعية المباركة التى تشتغل بخير الفقراء من المسلمين وهى الجمعية الخيرية الاسلامية

وفي عهده عظم أمر العثمانيين في عهد السلطان سليم
فوجه هيمته الى الاستيلاء على الشام ومصر والحرمين فخرج
اليه النورى في جند عظيم وتلاقى الجيشان بمرج دابق من
أرض الشام فانكسر أهل مصر انكساراً عظيماً وقتل النورى
وسط المعركة وذلك في ٢٥ رجب سنة ٦٢٢ وبمد ذلك تحول
السلطان سليم فملك حلب من غير ممانعة ولما عاد الامراء المهزومون
من مرج دابق الى مصر اتفق رأبهم على تولية طومان باى

❦ الدرس الثانى والاربعون ❦

❦ ٣٣ - الاشرف طومان باى ❦

وأصله من ممالك الاشرف قايتباى وكان السلطان سليم
قد استولى على بلاد الشام كلها وقدم بجنده يريد الافارة
على مصر فجد طومان باى الجنود وخرج بهم خارج القاهرة
ينتظرون قدوم الجيش العثمانى حتى اذا جاؤا بعددهم العظيم
قاباهم المصريون في أوائل الريدانية فكانت بين الفريقين

وقعة هائلة انتهت بهزيمة طومان باي ومن معه فدخل
العثمانيون القاهرة وخطب للسلطان سليم على منابرها وتعقبوا
المماليك الشراكسة حتى كادوا يفتنواهم عن آخرهم
أما السلطان طومان باي فلم ينقطع أمله وجمع بعض
الجمع يريد إعادة الكرة فلم يوفق وكان ظهوره سبباً لاخفاش
العثمانيين في السلب والنهب وايداء أهل مصر حتى حل بهم
من المصائب والرزايا ما لم يكونوا يتصورونه وصار العثمانيون
يهجمون على الناس في بيوتهم ويخرجونهم منها ويحلون محارمهم
وفي آخر الأمر قبض على طومان باي بعد الجهد والعناء
وسنق على باب زويلة وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف
وبموته انتهت دولة المماليك الثانية وكان مجموع مدة
المماليك في الدولتين نحو ٢٧٥ سنة

عموميات على هذه الدولة

ان كان هناك آثار ظاهرة ملوكية في مصر والشام فائماً

تنسب الى هذه الدولة . تأمل المساجد الكبرى ومنها ما كان
معداً لدراسة العلم وتعرف من بناه تجده من رجال دولة
المماليك إما ملكاً وإما أميراً والمنسوب الى غيرهم قليل واعلمهم
أرادوا أن يكفر الله عنهم بذلك كثيراً من السيئات التي
كانوا يرتكبونها في أحكامهم

كان الملك أو الأمير في هذه الدولة حراً في الرعية فاذا
غضب لا يقوم لغضبه شيء فان شاء قتل وان شاء صادر فأخذ
الاموال وفضح العيال وليس هناك من يقدر أن يقول له لم
فعلت ولم قتلت . وفي كثير من الاحيان كان يسلط الله بعضهم
على بعض فيقبض الملك على أمرائه ويزجهم في السجون ثم
يخنقهم ويتمتع باموالهم أو تقوم الامراء على الملك فيعضون
على حياته ويولون غيره

ففي دولة المماليك الاولى ٢١ ملكاً من ٢٤ خلعوا أو قتلوا
وثلاثة توفوا وفي دولتهم الثانية ١٥ من ٢٣ خلعوا وقاتلوا
وثمانية توفوا

والمصائب في هذه الحوادث كانت الرعية تنال النكد

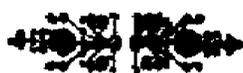
الا كبر منها حيث تتعطل مصالحهم فلا يأمنون على ما بأيديهم
في وقت الفتن

وإذا احتاج الملك منهم الى شيء من النقود لسد حاجة
من حاجاته فسرعان ما يصدر أمره بأنواع من المظالم فتجبي
الاموال ويلقى الناس من الاهانات مالا مثيل له حتى تربت
الرعية على الخوف والرعب ورأوا أن حيلتهم الواحدة للخلاص
من الشر أحيانا هي الكذب رقما كان ينجيهم لان أنواع
العقوبات التي تساط حينئذ على بدن المنكر تخرج منه ما عنده
فيعدم نفسه ويعدم ماله

وكانت الاراضي الزراعية قبل دولتهم قبالات يتقبلها
الناس من أيدي من يتولى الخراج بقدر معين يحسب له منه
ما يلزم الارض من رم الجسور واصلاح الري ويورد الباقي
لديوان الخراج . أما في عهد فصارت اقطاعات والمزارع
المقيم بالبلدة يسمونه فلاحا فيصير عبداً فلما من اقطع تلك
الناحية من الجنود والامراء الا أنه لا يرجو قط أنه يعتق أو
يباع بل هو فن ما بقي ومن ولد له كذلك

وكانت المظالم التي نمجي بها الاموال تكثر وتقل حسبما
كان عليه الملوك من العدل والظلم وخير الملوك من هذه الجهة
السلطان الناصر محمد بن قلاوون فانه ابطال انواعا كثيرة من
هذه المظالم وكان يتحصل منها للديوان وللناهبين شيء عظيم
أما حالة العلم والعلماء لهدم فكانت متوسطة وقد نبغ
في مصر أيامهم كثير من علماء الدين كجلال الدين السيوطي
وشيخ الاسلام زكريا الانصاري وغيرها الا ان الكتابة العربية
كانت منحطة جدا لان الدولة تركية فلم يكن السلطان يحس
بشيء من جيدها وردبثها وذلك مما يساعد على عدم النبوغ
فيها بل على عدم الاهتمام بها بالمرّة

وبالجملة فسلطنة المماليك على مصر كان شرها أكثر من
خيرها ويكفي الأمة عاراً وحطّة أن يشتري المملوك اليوم
بالدراهم ثم يصير بعد حين مملوكاً مهيمناً عليها



❖ الدرس الثالث والاربعون ❖

(مصر)

❖ تحت حكم الدولة العثمانية ❖

بعد أن تأسست الدولة العثمانية على يدمؤسسها السلطان عثمان الاول ومدت ظل ساطانها في عهد خلفائه على جزء عظيم من أوروبا وآسيا تطلعت الى الاستيلاء على قلب العالم الاسلامى المكون من مصر والشام والحرمين وبنفداده وقد فكر السلطان سليم الاول تاسع سلاطين بنى عثمان أن يفرز والسلطنة المصرية فيجمع الى ما بيده أرضها عظيمة مادة ومعنى وقد كانت حال المماليك في عهده مساعد له على نيل امنيته فأخذ البلاد الشامية وجاء الى مصر فقهر السلطان طومان وشنقه على باب زويلة وتسلم مملكة مصر وجعل مصر ايالة تابعة له كما جعل كذلك الشام والحجاز وقد مكث السلطان سليم بمصر نحو ثمانية أشهر رتب فيها أمرها ومهد قواعدها ثم رحل الى الاستانة بنغانم كثيرة وعدد عظيم من أرباب الحرف والصنائع التي كانت مصر

معروفة بها لذلك العهد واستصحب معه آخر الخلفاء العباسيين
بمصر وهو المتوكل على الله العباسي بعد ان استنزله عن الخلافة
فخلع نفسه منها وتنازل عن حقوقها وفوض أمرها الى سلاطين
آل عثمان

وقد جعل لمصر نائباً عنه في إدارة أمورها واستمرت
الحال على ذلك من سنة ٩٢٣ وهي سنة استيلاء العثمانيين على
مصر الى سنة ١٢١٣ وهي سنة استيلاء الفرنسيين مثلاً
وتسعون سنة كانت مصر أثناءها في أرواحها سررت عليها فان
السلطان سليم بهدمه لسلطان المماليك الذين كان لهم خير وشر
أزال ما كان يجري على أيديهم من الخير وأبقى على الناس ما
كانوا يجنونه من الشر فقد حل محل جنده المماليك جنده آخر
لا هم له الا الفساد والشر وعصيان الاوامر . نعم لم يكن لهم
هم الا سلب الاموال ونهب ما يبيده الناس لا يباليون بشيء
من ذلك وعليهم أنت برسوا للسلطان نصف ما يحصلونه
من الخراج

بذلك كانت مصر مسرحاً للفتن والاضطراب والاهالي بين

ذلك في أنفس حال وأضنى عيش وطلما انتهز الاعراب فرصة
الفتن بين الجنود ورؤسائهم فأنموا على الناس أمر مصائبهم
وتحكروا في أنفسهم وأموالهم ولا رادع لهم
وقد زاد الأمر شدة لما أرسلت الدولة سنة ١٠٢٧ أربعة
آلاف عسكري مبعدين عن مقر الحكومة لتمردهم وكلفت
والى مصر أن يرسلهم الى اليمن حين حضورهم الى مصر . فلما
حلوا بأرضها وطلب اليهم السفر عصوا وأقفلوا باب الفتوح
وباب النصر وعملوا متاريس بالطرق والشوارع واستولوا
على كثير من المنازل ووصلوا بعضها الى بعض فوجه اليهم
الوالى العساكر فقتل الفريقان قتالا شديدا واستمرت الفتن
بين العساكر الى سنة ١٠٣٥ بما يتخلل ذلك من الغلاء الفاحش
وفقدان الامن تماما

وفي سنة ١٠٣٧ في زمن الوزير محمد باشا عين العساكر
للسفر الى بلاد الحبشة صحبة الامير قانصوه فمكروا بالعباسية
وجعلوا يخطفون الاولاد والبنات ويفتكون بالمارين ويسلبون
وينهبون حتى انقطعت الطرق وضاق ذرع الناس وحل بهم

الكرب من كل مكان ولم يجهدوا مغيثاً . ولم تكن المصائب قاصرة على ما يحصل من العسكر والعرب بل كثير من الامراء كان لا فكرة له الا فيما يجلب به الضرر للناس وجمع أموالهم كما فعل أحمد باشا الذي كان يلقب برامى النحاس فانه جلب نحاساً كثيراً وأراد عمله فلوساً فأنشأ بحوش بردق (أفبردى) الوجاقات ووضع المسابك وجمع الصناع فلم يحصل له شيء مما كان يؤمل فرماه على التجار وعلى سائر أرباب الحرف والطوائف فلحق الناس من ذلك ما لا مزيد عليه من الضنك والشدة . وكان أكثر الحكام يقرر الرشوة على الناس ثم يستعملها من بعده حتى تصير كأنها حقوق ثابتة

وفي سنة ١٠٧١ حصلت واقعة الصناجق وهي وقعة هائلة انقسم فيها الامراء أحزاباً واشتعلت نيران الحرب في شوارع القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهز فيها الوالى عدة تجاريد حتى انتهت بقتل أغلب الامراء الفقارية المنسوبين الى رئيسهم ذى الفقار وذهبت صولتهم وجاء بعد ذلك الى مصر قوم حضروا من الشام أغلبهم

أروام ودرروز فانخرطوا في سلك العسكرية ووصل بعضهم
الى المناصب العالية وانضموا الى محمد بك حاكم جرجا وصاروا
انصاره وأخذوا في الظلم والايقاع بالناس وأكثروا من النهب
والسلب وكانوا يقتلون الناس على أقل سبب فرفع الناس
شكواهم الى الوالى فزجرهم فلم يزد جروا بل زادوا في طغيانهم
وفتكروا بالناس فاضطر الوالى لمحاربتهم وكانوا قد تحصنوا بجامع
المؤيد فحاصروهم فيه وقتلهم قتلا شديداً مات فيه خلق كثير
وخربت فيه هوائر كثيرة في العسكرية والداودية وقصبة رضوان
والدرب الاحمر وتحت الربع وما جازر ذلك وأخبر الامر
فغاب عليهم الوالى فأخذهم وقتلهم

وفي سنة ١١٧٩ استقل على بك الكبير بأمر مصر
وخلع الباشا المعين من قبل الدولة ونوبت شوكته جداً ولم
يزل كذلك حتى ثار عليه مملوكه محمد بك أبو الذهب صاحب
المسجد المسامت للازهر المعمور فتحاربوا حرباً كانت النصره
فيها لمحمد بك فاستقل بالامر الا أنه لم يطل عهده فقام من
بعده مراد بك وابراهيم بك وتصرفا في البلد وأخذوا في التعدي

على الامراء وغيرهم فقام الامراء ضدهما فأعدا مماليكهما
ولكنهما خذلا ففرا الى الاقاليم القبلية واستقل بالامر اسمعيل
بك ولكن أمر مراد بك وابراهيم لم ينته فتربصا بالامر حتى
استعدا ولم تنزل الحروب بين الفريقين متواليه حتى انتهى أمر
اسمعيل بك وعاد مراد وابراهيم ولكنهم لم يتفقا. وفي سنة ١١٩٩
عمت البلوى بمصر من الطاعون فكانت هذه الايام لامثيل
لها في الشدائد لما حصل فيها من القلاء والقضاء والفتن وقصور
النيل وتواتر المصادرات والمظالم وتعمدى الامراء وانتشار
اتباعهم في النواحي لجلب الاموال من القرى والبلدان واحداث
أنواع المظالم حتى أهلكوا الحرث والنسل وقل الزرع وضاق
الذرع واشتد الكرب وتشدت الفلاحون من بلادهم فخربت
أغلب بلاد الارياف فلما رأوا عدم الفائدة من الفلاح حووا
الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم في بيوتهم فاحتاج مساتير الناس
ليبع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم وحواشيهم مع ما هم فيه من
المصادرات الخارجة عن الحد وتبعوا من يشم فيه رائحة الغنى
فأخذوه وحبسوه وكلفوه فوق طاقتهم أضمافا ووالوا طاب

السلف أيضا من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة
وطمع ابراهيم في الوارث فكانوا اذا مات الميت يحيطون بمخلفاته
سواء كان له وارث أم لا حتى صار بيت المال من جملة المناصب
التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يدفعها كل شهر ولا
يعارض به ذلك فيما يفعل من الجزئيات وأما الكليات
فيختص بها الامير فيحل بالناس ما لا يوصف من العناء والبلاء
حتى خرب الاقليم بأسره واتقطعت الطرق ووقد الامن
ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب العرب وانتشر الفلاحون
في المدينة بنسائهم وأولادهم يضجون من الجوع ويأكلون
ما يتساقط في الطرقات من قشر البطيخ وأوراق الشجر حتى
لا يجد الزبال شيئا يكتسه من ذلك واشتد الكرب حتى أكلوا
الميتة من الخيل والحمر والبغال ومات الكثير جوعا ومع ذلك
كانت الامراء تنهب في المدينة ورجالهم ينهبون في بلاد
الارياف وما من مجير

كل ذلك جرى في هذه البلاد أيام أولئك المماليك الذين
لا نظام ولا رادع لهم حتى تأذن الله سبحانه بتغيير شئ من

الحال على يد الدولة الفرنسية التي يعتبر دخولها مصر بدء
تزعزع لسلطة هؤلاء المماليك الذين لا رادع لهم من دين أو
عقل وكان ذلك سنة ١٢١٣

الدرس الرابع والاربعون

(مصر)

تحت حكم الفرنسيين

في محرم سنة ١٢١٣ دخلت العساكر الفرنسية مدينة
الاسكندرية تحت قيادة نابليون بونابرت . وما علم بذلك
مراد بك جمع لهم جما فقابلوه عند الرحمانية بمديرية البحيرة
وهزموه الى انبابه فتبعوه اليها وكانت بين الفريقين واقعة لم
تدم أكثر من ثلاثة أرباع ساعة وانتهت بمخذلان مراد بك
فدخلت العساكر الفرنسية القاهرة وسكنوا بيوت أمراء
المماليك فسكن بونابرت بيت محمد بك الالفي بالازبكية واتخذ

أمير منهم ما استحسنه من بيوت أمراء الممالك مسكنا
كانت معاملتهم في أول الامر للمصريين فيها لين ورفق
في الامر تغير بعد ذلك فقسا الفرنسيين في المعاملة وفرضوا
على الناس أموالا يدفعونها وقالوا انها سلب ترد فحصل بذلك
راء أشد المضايقة واستعمل الفرنسيين في البحث عن
الممالك وودائعهم كثيرا من الظلم والفساد وصارت
بما كرت تدخل البيوت وتنهب ما فيها من غير مبالاة فحاق
بالناس الكرب والخوف وصاروا في حيرة اذا أقاموا في
هرة رأوا مظالم الفرنسيين واذا خرجوا عنها كانوا عرضة
لنوح العرب وعسكر مراد بك وابراهيم بك

ثم ألفوا مجلسا مركبا من ستة من كبار المسلمين ومثاهم
تجار النصارى لتحقيق حجج الاملاك وقرروا مبالغ تؤخذ
الوارث والمبايعات والدعوى فلحق بالناس من هذه
امات ما لحقهم وكثر عويلهم وشكواهم ولا معين
نصير

بما تمكنت الوحشة بين الاهالي وبين الفرنسيين أخذ هؤلاء

في الاحتياط لا تفهم فهدموا ابنية كثيرة من حول القلعة وزادوا
على بدئات باب العزب بالرماية وغيروا معالمها ومحواما كان بها
من آثار الحكماء والعلماء ومعالم السلاطين وما كان في الابواب
من الاسلحة والدرق والبائط والحراب الهندية وهدموا من
داخل القلعة قصر يوسف صلاح لدين . وطلب النفود من
البلاد لم يزل متواليا وتنوبع الفرض مستمرا فلم يلحق بأهالي
القطر أشد ولا أعظم مما لحقهم في هذه المدة لانه لم يكن كان
تهجم على البلاد واستحوذ على ما وجدت من أموال الاهالي
ويتعقبهم الغزيبون وينهبون ويأبسون لا فرنج يقتلون وينفجرون
فمجزت الناس عن تحمل مثل هذه الاحوال خصوصا أهل
القاهرة فاحتشدوا بشارع بين القصرين وعملوا متاريس في
بعض الحارات وحصات بينهم وبين الفرنسيين مناوشات
فكانت المدافع تضرب من القلعة على هذه الجهة وعلى الجامع
الازهر فتخرب بهذا السبب جملة من البيوت وتشتت كثير
من الناس ومات كثير منهم وشدد الفرنسيون على الاهالي
زيادة على ما كان وضربوا عليهم فرضا مستجدة وأخذوا

ونها بأى نوع من الطرق وأخلوا جهة الازبكية من أهلها
كنوا بهارجالهم ومن انتهى اليهم من نصارى الشام والقبط
وكان مجموع المدة التى أقامها الفرنسيون بمصر ثلاث
ن واحد عشر يوما من ٩ صفر سنة ١٢١٣ الى ٢١ صفر
١٢١٦ تخلفها كثير من المظالم استعمالها الفرنسيون المتمدنون
ب وسطاء السوء بينهم وبين المصريين ولم تر البلاد فى
هم يوما من الراحة من الغرامات التى توالى فرضها على
مالى وفقدان الامن تقدمانا تاما وقد انتهى أمر خروجهم
يد الوزير يوسف باشا الذى ارسلته الدولة لاستخلاص
ر بمساعدة المساكرا الانجليزية التى وافقت العثمانيين فى
ه الحملة وكان يوم خروجهم من مصر يوما جليلا عنده
ريين الدين قابلوا يوسف باشا بالسروور والافراح وكانوا
لون الخير العميم بهذا التغيير

ومن أكبر ما يذكره المصريون للفرنسيين بالسوء أهانتهم
ابع الازهر بعد أن كان هو وما يجاوره من الدروب
لمارات مأمنا للناس على أنفسهم وودائهم

— المدة —

(بين سنة ١٢١٦ و سنة ١٢٢٠)

في هذه المدة لم تهدأ الحال بمصر بل ازداد التعب وعم
الاضطراب جميع الخلق وتخرب الكثير من منازل مصر
وضواحيها وقامى الناس خصوصا التجار والمستورين من
الغرامات والكلف ما لا يمكن وصفه خصوصا في عهد أول
الولاية بهذه المدة وهو محمد باشا المعروف بأبي مرق ، دخل
مصر بموكب حائل وفرح الناس بقدمه ظانين أن ينالوا
الراحة والامن فخاب ظنهم لعدم قيامه برعاية المصالح فان
النصارى والاروام الذين كانوا مع الفرنسيين وحصل منهم
الاذى للمسلمين اندرجوا مع الارنؤود والعسكر ومن بالبلد
من الاتراك وجعلوا يعيشون ويعربدون بأنحاء القاهرة وينهبون
الاهالى ويطردونهم من منازلهم ويسكنونها واستعملوا في السلب
أنواع الخيل فرمما جلس العسكري على دكان بدعوى
الاستراحة أو شراء شئ ثم يقوم ويعود بعد قليل قائلا إنه

نسى كيسه أو فقد دراهما ويجعل ذلك سببا لاهانة صاحب الخانوت ونهب ما عنده وعم الفساد وشاركو الإبادة فيما بينهم وساهموا التجار فيما يرجحون وضاق خناق الخلق واتسع ميدان الكرب خصوصا في جهات الأرياف وانتهت شدة المضاعب حتى قال قاضي المسكر (لاسأله الله) بأن الألاك كافة صارت للدولة لأن انتصارها على الفرنسيين بعد فتح جديداً ولكن العلماء عارضوه وضج أصحاب الأملاك وأكثروا الشكوى حتى لم ينفذ ما قاله ولكن الباشا أكثر مصادرة من شئ فيه رائحة الثروة وأكثر من الفرض على التجار وغيرهم ولم تنزل الحال على ذلك وأشد منه مما لا يمكن وصفه حتى تأذن الله بانقضاء تلك الكوارث وذهاب امرة الممالك من أرض مصر ودخول البلاد في عصر جديد يشم فيه الفلاحون رائحة الحرية التي غابت عنهم منذ أزمان كل ذلك كان على يد ذلك البطل العظيم الحاج محمد علي باشا مؤسس الدولة العلوية بمصر حفظها الله ورعاها وجعل خير البلاد على أيديها وكانت توليته في شهر صفر سنة ١٢٢٠

الدرس الخامس والاربعون ❦

(مصر)

❦ في عهد العائلة المحمدية العلوية ❦

٤

سعيد

١٢٧٠ - ١٢٧٩

٧

٦

٥

٢

١

محمد علي - ابراهيم - اسمعيل - محمد توفيق - عباس حلمي الثاني

١٢٢٠ ١٢٦٥-١٢٦٥ ١٢٧٩-١٢٩٦ ١٢٩٦-١٣٠٩ ١٣٠٩

٣

١٢٦٥

طوسون - عباس الاول

١٢٦٥ - ١٢٧٠

❦ | - محمد علي ❦

ولي محمد علي باشا مصر وسلسلة الفتن محكمة حاقياتها

وعقد الحوادث صعب حلها والاضطراب عام في جميع الانحاء

والعرب تعربد في النواحي والمناسر تقطع الطرق والعساكر
يجلبون على الاهالي كل داهية والامراء المصريون يعيشون
في البلاد ويخربونها واذا ارسل لقتالهم عساكر زادوا عنهم في
الفساد أضعا فامع ما بين فرقة من العداوة فالارثود تخالف
الانكشارية والدلاة تعادي كل فرقة وكلهم معاد للاهالي عاص
للاوالي . هذا هو حال مصر لا بل ولاية ذلك البطل . أخذ
يستميل قلوب المشايخ اصحاب الحكامة كالسيد عمر مكرم والشيخ
الشرقاوي والشيخ الداوخلي حتى صاروا معه فصار يستعين بهم
في حل المشاكل

ولم يكن ما يعا كسه في اصلاح الحال بمصر سوى رؤساء
الماليك الذين طالما افسدوا في الارض فكان همه موجهها الى
الاستراحة منهم . وصادف ان قامت بالحجاز فتنة الوهابيين
واستولوا على الحرمين فطلبت الدولة من محمد علي أن يرسل
جيشا مصرية لاسترداد هذه البلاد المقدسة فاستعد الامير لذلك
واخذ دارصناعة (ترسانة) بيولاك لعمل المراكب فعمل منه
عدة وأرسلت على الجمال الى السويس فتركت هناك ثم سار

عليها بنفسه سنة ١٢٢٥ ورتب أمره ثم عاد وتلد ابنه طوسون
قيادة الجند الذي أعده للسفر وأظهر انه يريد الاحتفال بالباس
ابن طوسون الخلة التي سيرتها اليه الدولة وأعلن ذلك لكافة
الامراء الذين في البلد وان يكونوا في القاعة في الساعة الرابعة
من يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ فحضروا ولم يتأخر منهم أحد
بعد ان احكم الامر في قتلهم ولما انتظم عقد الموكب سار المنتظمون
فيه حتى اذا انحصر الامراء بين باب العزب والباب الاعلى
في المضيق صدرت اشارة الى الرجال الذين أعدوا على الجانبين
فأطلقوا بنادقهم فأصاب الرصاص الامراء من اليمين ومن الشمال
ومن خلفهم ورأوا الباب موصداً أمامهم وخط الرجعة مقطوعاً
عليهم فلم ينج منهم أحد واستمر القتل من ضحوة النهار الى
العشاء ثم تدبعت المسكر من كان منهم بالارياض فأجهزوا عليهم
ولم ينج الا من فر بنفسه الى السودان او استتر حتى مات
ونهب دورهم وامتلكت الارنود أموالهم. وبمد ذلك طاف
محمد علي بالبلد وأمن أهله وبذلك عد نفسه أميراً حقيقياً على
مصر لا يموت عن اصلاحها عائق فشرع في تخليص القطر

من أحواله . وقد جعل أهم شئ ينظر اليه في الاول هو ارضاء
الدولة العلية حتى لا يرى منها في المستقبل ما يمرض مقصده .
فأرسل الجند المعد للحجاز وعليه ولده طوسون فذهب وأخذ
فتنة الوهايين واسترد منهم مكة والمدينة وتسلم مفاتيح الحرمين
وبعد ان أتم ذلك سافر محمد علي بنفسه الى الحجاز في شوال
سنة ١٢٢٨ ورتب أمور الحجاز أحسن ترتيب وقبض على
الشريف غالب وولى مكانه ابن أخيه يحيى بن سرور وقد مكث
بالحجاز الى جمادى الثانية سنة ١٢٣٠ الى أن تم أمره فرجع
وكان ذلك سببا في الرضاء التام عنه من جهة الدولة

ثم اهتم بعد ذلك بوضع النظام الذي يمكن مصر أن تسير
عليه كما تسير الدول ذوات الشأن وبني الحصون بالاسكندرية
ورشيد ودمياط واهتم بتأمين الطرق ومساعدة التجار من
الافرنج وغيرهم حتى اطمأنوا بعد الخوف وسكنوا ثغر
الاسكندرية وجلبوا الى مصر أنواع التجارات .

ثم اهتم بعد ذلك بأكبر الاشياء لديه وهو أن يجعل عسكر
مصر نظاميا كهيئة السساكر الافرنجية فصادفته في البدء صعوبات

ثم تغاب عليها بحكمته واستعان برجلين أوروبائين أحدهما
باسم صرى والثاني اسمه سيف وهو الذي أسلم بعد وترقى
وعرف بإسليمان باشا الفرنسارى وكان هذا الترتيب والتعليم
بعيداً عن القاهرة وبعد سنتين دخلت العساكر منظمة الى
القاهرة بهيئة ادهشت الناس وهذه أول مزية جناها فلاحو
مصر إذ صار جند القطر المحافظ عليه منهم إمدان كانوا كالسباع
تتحكم فيهم الاجناد

ثم وجه همه لانشاء الاساطيل البحرية فصنع منها عدة
واستعان بجماعة من الاوروبائين جعلهم من جملة خدمتها
وانشأ مدرسة بحرية وأدخل فيها جملة من الشبان المصريين
وجلب اليها مهرة المعلمين . ثم انشأ مدرسة الطب بجهة أبي
زعلل وعين لها الماهر كلوت بك الذى لا يزال اسمه معروفاً
لعامة المصريين بالشارع الذى سمي باسمه بالقاهرة

وبالجملة فهو أول من وضع البندرة العلمية فى رؤوس
المصريين واستعمل فى ذلك الطرق الشديدة لان المصريين
فى ذلك الوقت لم يكونوا يفقهون صوت الحهم فكانوا يؤخذون

للتعليم جبها ونحن نرى كيف اينمت هذه الثمرة
ومع اهتمامه بهذا الترقى الادبى اهتم جداً بالامور المادية
فبذل جهده فى اصلاح الرى ووضع أساس تلك القناطر
العجيبة برأس الدلتا وهى التى تعرف بالقناطر الخيرية فكانت
ولا تزال مصدر الخير لاهل الوجه البحرى فصاروا بها
يتمكنون من ارواء اراضيهم بسهولة خصوصا بعد ما دخلها
من التحسينات بفتح هذه الرياحات التى تأخذ الماء منها
وهو أول من أدخل زراعة القطن بمصر بأرشاد أحد
الفرنسيين المسمى جوميل وبعد قليل بيع محصوله للافرنج
نحو مائتى الف قنطار وهذا القطن هو الذى عليه الآزمدار
الثروة المصرية . وكذلك جلب نبات النيلة والافيون وقصب
السكر وصنع له معامل وجهد ورشالغزل القطن وفتح
الشوارع وغرس الاشجار حول القاهرة
وعلى الجملة فهو قد وضع أساسا حسنا لاجراج هذا
البلد من ظلمات الجهالة الى نور العلم وانتشالهم من وهدة
الفقر والخراب الى ذروة الفنى وال عمران . وهو الذى فتح

البلاد السودانية وألقها بملك البلاد المصرية
ومما لم نكن نحب حصوله تلك الحرب الهائلة التي
حصلت بين محمد علي وبين الدولة العلية
وسببها تغير كان بين محمد علي وبين والي الشام عبد الله
باشا أدى الى ارسال الاول جنوده المصرية لاخذ الشام منه
فافتتحها الجند بقيادة الامير ابراهيم بن محمد علي ولما رأت
الدولة ذلك أرادت صده بمساكر أرسلتها اليه فقهرها مرتين
احداها بقرب حمص والاخرى بقرب بعلبك . ولما بلغ ذلك
مسمع السلطان محمود مال الى مسالمة محمد علي فاشترط هذا
أن يكون كل ما افتتجه تحت امرته فلم يرض السلطان بهذا
الشرط وسير جنداً عظيماً لمقاتلة أهل مصر فالتقى الجنندان
بنواحى فونيا وانتصر المصريون انتصاراً عظيماً وأسر محمد رشيد
باشا قائد الجنود التركية ولما علم السلطان بذلك استعان بدول
أوروبا وقد ختمت المداولات بماهدة كوتاهية التي كتبت
في ١٤ مارس ١٨٤٣ ومضمونها بقاء ولايتي مصر والشام
لمحمد علي وعدن والحرمين لابنه ابراهيم . ولكن الامر لم

يصف له ببلاد الشام فان الدروز كانوا ضد ابراهيم والمارونية كانوا معه فاستعان بهؤلاء على اولئك حتى تم له اخضاع تلك الثورات . أما الدولة فانها لم تنزل تستعد للايقاع بالجنود المصرية المعسكرة بالشام فرتب جنداً تحت قيادة حافظ باشا وأرسلته الى الشام فالتحم مع العجند المصري بنواحي نصيبين وانجحت الواقعة عن نصرة المصريين

وفي هذا الوقت توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد فرأى محمد علي أن أفضل شيء هو حل المسألة بطريقة الود وجرت المحادثات بين الفريقين حتى تم الاتفاق على أن روسيا وبروسيا وإنجلترا وفرنسا يعمنون النظر في حلها ولم يلبث محمد علي أن جاءه الفرمان بولاية مصر يرثها من بعده من أبنائه وأن له ولاية عكا مدة حياته فأغضب ذلك محمد علي ولم يرضه وطالب أن تكون له الشام كلها فأبت ذلك الدول المتداخلة وتألّبوا على جنود محمد علي بالشام ليرجع الى مصر فاضطر ابراهيم الى الرجوع بعد أن عانى شداً عظيمة وحينئذ أمضى السلطان العقد المؤرخ ١٢ يناير سنة ١٨٤١ ومن ضمنه أن يكون

محمد علي واليا على مصر مدة حياته ومن بعده لا كبر أولاده
وحفدته وأن يورد للخزينة كل سنة ثمانين ألف كيس وأن لا
يزيد عدد المساكر المصرية عن ١٨٠٠٠ بشرط أن تكون ملابسهم
كملابس عسكر السلطان وتم الأمر على ذلك وبهذا الاستراح
خاطر محمد علي باشا بعد تلك الحروب الطويلة
ومن آثار محمد علي ذلك الجامع العظيم بقلمنة الجبل وهو
الذي دفن فيه

ولم يزل محمد علي واليا على مصر حتى أصابه مرض
اضطره للتخلي عن إدارة البلاد لابنه وولى عهده الأمير
ابراهيم باشا

❦ الدرس السادس والاربعون ❦

❦ ٢ - ابراهيم باشا ❦

كان في أيام ولاية والده سر عسكر الجنود المصرية وبعده
اعتزال والده جاءه فرمان الباب العالي بتوليته بلاد مصر ولكن

لم يطل عهده فانه توفى بعد أحد عشر شهراً سنة ١٢٦٥

﴿ ٣ ﴾ - عباس باشا الاول ﴿

هو حفيد محمد علي ابن ولده طوسون ولي بعد وفاة عمه
ابراهيم لانه كان أكبر أبناء محمد علي وفي عهده توفى جده
محمد علي في أواسط رمضان سنة ١٢٦٦ ودفن بالجامع بقلمنة
الجبل وكان عباس مهتما بحال الامن في البلاد حتى انه كان
يعاقب على التهمة وكان يسير بالليل مستخفيا في أزقة مصر
يتعهد أحوال أهله وكان يحب الاولياء خصوصا أهل البيت
ويعمل لهم الليالي الخيرية في مساجدهم الى أن توفى شهيدا
بقصره الذي أنشأه بينها سنة ١٢٧٠

﴿ ٤ ﴾ - محمد سعيد باشا ﴿

وهو ابن محمد علي ولي بعد وفاة ابن أخيه عباس وقد
ولى قبل ذلك رئاسة البحرية بعد تعلمه فيها وكان محبا للجهادية
مولعا بجمع المساكر المصرية مغدقا عليهم نعمه لا يقر له فرار
إلا معهم وفي وسطهم ورتب الكثير منهم وكانت تعرض

عليه القضايا والمهمات وهو بينهم لا ينفارقونه أين حل أو ارتحل
وكان كثير التنقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى
مريوط ونصر النيل ، ومن الاعمال الكبيرة التي حدثت في
عهده فتح قناة السويس التي توصل بين البحر الاحمر والبحر
الايض المتوسط وتفصل بين آسيا وأفريقية وكان ينتظر منها
نفع عظيم لمصر ولكن تلك المنافع استأثر بها أهل أوروبا
وأعظمهم الفرنسيون والإنجليز

ومن أعظم مآثره لائحة الاطيان السعيدية وهي التي
أمتت الفلاح على ما بيده من الارض فأقبل على اصلاحها
وزراعتها ومنها لائحة المعاشات السعيدية التي استفاد منها
المستخدم أعظم فائدة

توفي في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ باسكندرية

﴿ ٥ - اسماعيل باشا ﴾

هو ابن ابراهيم بن محمد علي وهو ثاني أئجاله ولد سنة ١٢٤٥
وولى الخديوية المصرية بعد وفاة عمه سعيد باشا في ٢٨ رجب

سنة ١٢٧٩ وعمره أربع وثلاثون سنة . وهو الذي وسع نطاق
التجارة وأكثر من فروع السكك الحديدية والتلغرافات وفي
أيامه كثر عدد المدارس بمصر وأوجد دار الكتب العربية ودار
الآثار المصرية وبني مدينة الاسماعيليه ثم التفت الى مدينة
مصر فنظمها بتوسيع شوارعها وتأسيس الابنية العظيمة كبنى
الاوربة بمصر وزينيا باسكندرية وشيد القصور الفخيمة وفي
عهده فتح رسميا قنال السويس وصرفت الحكومة على الاحتفال
به قدرا عظيما وكانت كل هذه الاعمال مع ما كان عليه اسماعيل من
السرف سببا لمد يده نحو أوروبا مقترضا ما يسد به حاجاته
فأقرضوه ماشاء بالربا الفاحش ولم تنل البلاد من هذه الديون
فوائد توازي ما أثقل به كاهلها وفي آخر الامر اضطريت الامور
المالية بمصر وخشى الدائنون على ديونهم فاضطر اسماعيل إلى
الاستقالة في رجب سنة ١٢٩٦ بعد سبع عشرة سنة من بدء ولايته
وفي أيامه تعدت الوراثة الخديوية فبعض أن كانت لأكبر
الاسرة العلوية صارت في صلب اسماعيل لا كبر أولاده ثم
لا كبر أولاد من بعده ممن يتولى الخديوية

٦ - محمد توفيق باشا

هو أكبر انجال اسمعيل باشا ولد في يوم الخميس ١٠ رجب سنة ١٢٦٩ وولى مصر بعد استقالة والده في ١٧ رجب سنة ١٢٩٦ وعمره ٢٧ سنة وكانت امرته رحمه الله فاتحة عصر الاصلاح في حالة الفلاح فانه انفق كثيراً من الضرائب التي كانت متعددة الانواع حتى كان الفلاح لا يعرف ما عليه من كثرة ما يطلب منه ثم امر بتشكيل لجنة التصفية وهي التي امنت الدائنين على ديونهم وحفظت للفلاح الحق فيما دفعه من المقابلة ونسط الاموال على الاطيان في اوقات معينة وابطل ما كان يستعمل في تحصيلها من الشدة والقسوة وجعل المال ديناً على الارض تباع فيه اذا تأخر صاحبها عن دفعه في الميعاد فتنفس الفلاح نسيم الحياة وأمن على نفسه وماله

ثم وجه فكرته لأمر التعليم ففتحت المدارس على اختلاف درجاتها ووسع دائرة المدارس العالية ففتحت في أياها مدرسة

دار العلوم وأنشئت المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية
وغير ذلك

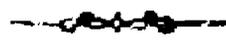
ولما كان من أهم ما يحسن الحال ويؤمن الاهالى العدل
بين الناس فيما يكون بينهم من القضايا ووجه همه لتأسيس المحاكم
النظامية وبها أمن الناس على حقوقهم

واهتم بأمر الري لانه الدعامة لثروة هذا القطر
فجددت الترع وأنشئت القناطر ورفعت العونة والسخرية عن
الفلاحين وصار تطهير الترع وانشاؤها من أعمال الحكومة
تجريه بنفسها

وقد أمر بإنشاء مجلس نواب ليشارك معه الاهالى فيما
يرقى درجاتهم ويحسن حالهم . ولم يزل الامر جاريا على هذا
السنن من التقدم والفلاح حتى جاءت الثورة العراقية فأخرت
ما كان ينتظر من هذا التقدم ولم تزل البلاد مضطربة حتى
انتهى أمرها بالاحتلال الانجائزى وقد كانت هذه الثورة
سببا فى ازدياد الدين على البلاد

وقد أخذت الحكومة بعد ذلك فى اصلاح الحال والعودة

الى ترقية الامة فسارت في ذلك سيرا محمودا ولكنهم رأوا
بعد انتهاء الثورة الغاء مجلس النواب والاستعاضة عنه بمجلس
شورى القوانين ومجالس المديرية
ولم يزل الخديو توفيق رحمة الله على عرش مصر حتى
توفي بمدينة حلوان في سنة ١٣٠٩ فنقل الى مصر ودفن بجهة العفبني



❦ الدرس السابع والاربعون ❦

❦ ٧ - عباس حلمي الثاني ❦

في ثامن يناير سنة ١٨٩٢ (٨ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩)
رقى مولانا عباس حلمي باشا الثاني عرش الامارة المصرية بعد
وفاة أبيه محمد توفيق باشا رحمه الله
وعصره لمصر عصر راق جدا اذا قورن بما سبقه من عصور
آبائه تفهم الله برحمته فاما اذا قورن بما قبل ذلك فهو
عصر ذهبي نسأل الله أن يزيدنا دائما من حسناته ويجعل
خطونا فيه للامام

في هذا العصر تمت للفلاح حرية وأمنه على نفسه وماله
فلا مجال لحاكم أن يعيث بشيء من ذلك . هو حر أن يزرع في
أرضه ما شاء من أنواع المزروعات التي ينال منها قوته ويربحه
(الا الدخان) لا يطالب بشيء الا الضريبة المعينة المنظمة
وقد ازيمحت عنه المظالم الكثيرة التي كان ينوء بحملها . وهو
حر في ماله يتصرف فيه كيف يهديه عقله . وهو حر في نفسه
ولا تسلب حرية الا بحق من الحقوق العمومية حسبما ترى
في ذلك المحاكم النظامية العادلة . ولا يسوء الناس الا أهل
الشر من أنفسهم فهم الذين يعكرون هذا الصفاء بسوء تربيتهم
ولا بد من صلاح هذا الحال متى عمت التربية بهمة القائمين بها
والصانع حر في اختيار العمل الذي يقيم معيشته فان
كان صادق العزيمة عالي النفس أفاد أمته وأفاد نفسه وان
كان خاملا كسولا لم يكن له هم الا ما يسد به جوعه فرضى
بالدون والحسيس من الاعمال . ومثل الصانع التاجر والعامل
في هذا العصر عنيت الحكومة باصلاح التعليم وتعميمه
بين طبقات الامة فاهتمت بأمر الكتابات التي يتلقى فيها الفلاح

المصرى أول تعاليمه وهى أساس الاصلاح للمصرى فتنى
صلحت صالح ورقى . وكذلك اعتنت بالمدارس الابتدائية
والتجهيزية والعالية حتى كثر المتعلمون وساعد الحكومة على
ذلك جماعات من محبي الخير اتقوهم فأسسوا جمعيات منظمة
لنشر التعليم بين طبقات الأمة وفى مقدمتها الجمعية الخيرية
الاسلامية التى يرأسها صاحب الدولة الامير الجليل
حسين كامل باشا عم الامير المعظم وجمعية العروة الوثقى
بالمسندرية وجمعية المساعى المشكورة بشبين الكوم وغيرها من
الجمعيات وكلها تتعاون على نشر التعليم

وقد اعتنى الامير المعظم بالازهر الشريف وهو أكبر
معهد علمى دينى فى مصر وتعاونت الأمة على انشاء جامعة
علمية نسأل لها حياة طيبة وعلى الجملة فهذا العصر يبشرنا بخير
مستقبل فنسأل الله أن يطيل عمر مولانا الامير المعظم ويسدده
فى قوله وفعله حتى يكون أعظم عون لاهل مصر فيما
يرجونه من السعادة

فهرس

صحيفة	صحيفة
(الدرس السادس)	(الدرس الاول)
٢٢ حالة العرب الاجتماعية	٢ جزيرة العرب
قبيل الاسلام	٣ أصل العرب
(الدرس السابع)	(الدرس الثاني)
٢٤ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	٤ العرب الباقية
(الدرس الثامن)	٧ ممشة العرب
٢٨ العرض على القبائل	(الدرس الثالث)
٣٠ الصجرة	٧ مدينة العرب قبل الاسلام
٣٠ أعمال مكة	(الدرس الرابع)
(الدرس التاسع)	١٢ دين العرب
٣٢ مشروعية القتال	١٥ أخلاق العرب
٣٣ بدء القتال	(الدرس الخامس)
٣٤ غزوة بدر	١٧ لغة العرب وآدابهم وعلومهم

صحيفة	صحيفة
(الدرس الثالث عشر)	٣٥ غزوة قينقاع
٤٩ معجزاته عليه السلام	٣٥ غزوة أحد
(الدرس الرابع عشر)	(الدرس العاشر)
٥٣ خلافة أبي بكر	٣٧ غزوة بني النضير
(الدرس الخامس عشر)	٣٨ غزوة الخندق
٥٩ خلافة عمر بن الخطاب	٣٩ غزوة بني قريظة
(الدرس السادس عشر)	٣٩ عمرة الحديبية
٦٤ خلافة عثمان	٤٠ غزوة خيبر
٦٦ خلافة علي	(الدرس الحادي عشر)
(الدرس السابع عشر)	٤١ فتح مكة
٧٢ الدولة الاموية	٤٢ غزوة تبوك
٧٤ معاوية الاول	٤٣ حجة الوداع
٧٥ يزيد الاول	(الدرس الثاني عشر)
٧٧ معاوية الثاني	٤٤ أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحيفة	صحيفة
(الدرس الحادى والعشرون)	(الدرس الثامن عشر)
الامويون والاندلس ٩٢	٧٨ الاسرة المروانية
عبد الرحمن الاول ٩٤	٧٨ مروان الاول
هشام ٩٤	٧٨ عبد الملك
الحكم ٩٥	٧٩ الوليد الاول
عبد الرحمن الثانى ٩٦	٨١ سليمان
محمد ٩٨	٨١ عمر
المنذر ٩٨	٨٢ يزيد الثانى
عبد الله ٩٨	(الدرس التاسع عشر)
(الدرس الثانى والعشرون)	٨٣ هشام
عبد الرحمن الناصر ٩٩	٨٤ اوليد الثانى
الحكم المستنصر ١٠١	٨٤ يزيد الثالث
هشام المؤيد ١٠٢	٨٥ مروان الثانى
(الدرس الثالث والعشرون)	(الدرس العشرون)
محمد المهدي ١٠٤	٨٧ الاندلس

صحيفة	صحيفة
١٣٧ موسى الهادي	١٠٦ الملويون بالاندلس
(الدرس السابع والعشرون)	١٠٧ ملوك الطوائف
١٣٧ هرون الرشيد	١٠٨ المثنون
١٤١ محمد الامين	(الدرس الرابع والعشرون)
١٤٢ عبد الله المأمون	١٠٩ الموحدون
١٤٤ محمد المعتصم	١١٤ دولة بني الاحمر
(الدرس الثامن والعشرون)	(الدرس الخامس والعشرون)
١٤٧ هرون الواثق	١١٧ عبرة من تاريخ الاندلس
١٤٧ جعفر المتوكل	١٢٠ حال الاندلس في
١٤٨ محمد المنتصر	الملك الاسلامي
١٤٩ أحمد المستعين	(الدرس السادس والعشرون)
١٥٠ محمد المعز	١٢٦ الدولة العباسية
١٥١ محمد المهدي	١٢٩ محمد السفاح
١٥١ أحمد المعتمد	١٣١ عبد الله المنصور
١٥٢ أحمد المعتضد	١٣٦ محمد المهدي

صحيفة	صحيفة
١٦١ محمد المكتفي	١٥٣ علي المكتفي
١٦٢ يوسف المستنجد	١٥٣ جعفر المقدر
١٦٢ الحسن المستضيء	١٥٤ محمد القاهر
١٦٢ احمد الناصر	١٥٤ أحمد الراضي
١٦٤ محمد الظاهر	١٥٤ أبراهيم المتقي
(الدرس الثلاثون)	١٥٥ عبد الله المستكفي
١٦٤ المستنصر بالله	١٥٥ الفضل المطيع
١٦٤ المستعصم	(الدرس التاسع والعشرون)
١٦٥ عموميات في الدولة	١٥٧ عبد الكريم الطائع
العباسية	١٥٧ احمد القادر
(الدرس الحادي والثلاثون)	١٥٨ عبد الله القائم
١٧٠ دولة بني بويه	١٥٩ عبد الله المقتدي
١٧٢ معز الدولة	١٦٠ احمد المستظهر
١٧٢ بختيار	١٦١ الفضل المسترشد
١٧٣ عضد الدولة	١٦١ المنصور الراشد

صفحة	صحيفة
١٨٦ مسعود	١٧٥ صمصام الدولة
١٨٦ ملكشاه	١٧٥ شرف الدولة
(الدرس الثالث والثلاثون)	١٧٥ بهاء الدولة
١٨٧ دولة آل سبكتكين	١٧٦ سلطان الدولة
١٨٨ محمود بن سبكتكين	١٧٧ مشرف الدولة
١٨٩ محمد	١٧٧ جلال الدولة
١٩٠ مسعود	١٧٨ أبو كاليبجار
١٩٠ مودود	١٧٨ خسرو فيروز
١٩١ عبد الرشيد	(الدرس الثاني والثلاثون)
١٩١ فرخزاد	١٧٩ الدولة السلجوقية
١٩١ ابراهيم	١٨١ الب ارسلان
١٩١ مسعود	١٨٢ ملك شاه
١٩٢ ارسلان شاه	١٨٤ بركياروق
(الدرس الرابع والثلاثون)	١٨٥ محمد
١٩٤ تاريخ مصر	١٨٥ محمود

صحيفة	صحيفة
(الدرس السابع والثلاثون)	(الدرس الخامس والثلاثون)
٢١٨ الآمر منصور	٢٠١ الدولة الطولونية
٢٢٠ الحافظ عبد المجيد	٢٠١ احمد بن طولون والقطائع
٢٢٠ الظاهر اسماعيل	٢٠٣ خمارويه
٢٢١ الفائز عيسى	٢٠٦ جيش
٢٢١ المعاضد عبد الله	٢٠٧ هرون
(الدرس الثامن والثلاثون)	٢٠٧ شيبان
٢٢٧ الدولة الايوبية	(الدرس السادس والثلاثون)
٢٢٨ صلاح الدين يوسف	٢٠٩ الدولة الفاطمية
٢٢٩ العزيز عثمان	والقاهرة
٢٣٠ المنصور محمد	٢١٣ العزيز بالله تزار
٢٣٠ العادل أبو بكر	٢١٣ الحاكم بالله منصور
٢٣١ الكامل محمد	٢١٥ الظاهر على
٢٣٢ العادل أبو بكر	٢١٦ المستنصر بالله محمد
٢٣٢ الصالح أيوب	٢١٨ المستعلي احمد

صحيفة	صحيفة
٢٤٣ العادل كتبنا	٢٣٣ المعظم توران شاه
٢٤٤ المنصور لاجين	٢٣٤ شجرة الدر
٢٤٥ المظفر بيبرس	٢٣٥ عموميات على الدولة
٢٤٦ أولاد الناصر	الايوية
(الدرس الاربعون)	(الدرس التاسع والثلاثون)
٢٤٨ دولة الشراكسة	٢٣٧ دولة المماليك
٢٤٨ الظاهر برقوق	٢٣٧ المعز أيبك
٢٤٩ الناصر فرج	٢٣٨ المنصور على
٢٥٠ المتصور عبد العزيز	٢٣٩ المظفر قطز
٢٥٠ المؤيد شيخ	٢٣٩ الظاهر بيبرس
٢٥٢ المظفر أحمد	٢٤١ السعيد محمد
٢٥٢ الظاهر طاهر	٢٤١ العادل سلامش
٢٥٢ الصالح محمد	٢٤٢ المنصور قلاون
٢٥٣ الاشرف برسباي	٢٤٢ الاشرف خليل
٢٥٣ العزيز يوسف	٢٤٣ الناصر محمد

صحيفة	صحيفة
(الدرس الثاني والاربعون)	٢٥٣ الظاهر جقمق
٢٦٣ الاشرف طومان باى	٢٥٤ المنصور عثمان
٢٦٤ همويات على دولة	٢٥٥ الاشرف اينال
الماليك	٢٥٥ المؤيد احمد
(الدرس الثالث والاربعون)	٢٥٥ الظاهر خشقدم
٢٦٨ مصر تحت حكم الدولة	٢٥٦ الظاهر بلباى
العثمانية	٢٥٦ الظاهر تمر بنا
(الدرس الرابع والاربعون)	(الدرس الحادى والاربعون)
٢٧٠ مصر تحت حكم	٢٥٧ الاشرف قايتباى
الفرنسيين	٢٦١ الناصر محمد
(الدرس الخامس والاربعون)	٢٦١ الظاهر قانصوه
٢٨١ مصر فى عهد العائلة	٢٦٢ الاشرف جنبلط
المحمدية العلوية	٢٦٢ العادل طومان باى
٢٨١ محمد على باشا	٢٦٢ الاشرف قانصوه
	النورى

صحيفة	صحيفة
٢٩١ اسماعيل باشا	(الدرس السادس والاربعون)
٢٩٣ محمد توفيق باشا	٢٨٩ ابراهيم باشا
(الدرس السابع والاربعون)	٢٩٠ عباس باشا الاول
٢٩٥ عباس باشا حلى الثاني	٢٩٠ محمد سعيد باشا